مؤتمر
هداياتُ القرآن في بناء الإنسان
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
هدى للناس
وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني

عنوان البحث:

سقوط الحضارات عِبرٌ ودلالات

(دراسة في ضوء هدايات القصص القرآني)

اسم الباحث/ـة

د/ عادل سليمان أحمد ضحوي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا ونبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فإنّ قصص القرآن الكريم من الأساليب القرآنية البديعة، التي ترشد من تأملها إلى هدايات عديدة، وقد أكثر القرآن الكريم من ذكر القصص، وبعض القصص تكرر في عدة مواضع من القرآن الكريم، لفتًا للانتباه إليها وإشعارًا بأهميتها، وترسيخًا للاعتبار بها، قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال الله تعالى:
﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وقد شهدت البشريةُ عبر العصور العديدَ من حضارات الأمم، ودونت لنا كتب التاريخ الكثير عما يخص تلك الحضارات من ثقافات ومعتقدات ومعيشة وغير ذلك، ولكن أصدق تدوين وأعظمه ما سطره القرآن الكريم حول بعض الحضارات القديمة؛ إذ إنه ركّز على الجوانب المهمّة في عرضه للقصص؛ و(قصص القرآن لم يقصد بها سرد حوادث التاريخ، بل العبرة والموعظة، فيذكر في كل سورة من القصة الواحدة من المعاني والمواعظ ما لا يذكر في الأخرى، ومجموعها هو كل ما أراد الله تعالى أن يعظ به هذه الأمة)(١)، والإنسان العاقل عند سماعه أخبار الأولين وما حلَّ بهم يقدّر ذلك في نفسه وحاله، فيعتبر بها ويتعظ، ويدعوه ذلك إلى الاهتداء والعودة إلى الله تعالى؛ فما خلق الله تعالى الإنسان إلا لعبادته، وقد أرشده لتعمير الأرض على هذا الأساس، وهذا هو قوام الحضارة في الإسلام.

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٨/٤٥٦.

وتنبع أهمية موضوع البحث من عنايته بتقديم هدايات واستنباطات في جانب من جوانب القصص القرآني؛ ففي قصص القرآن الكريم ذِكرٌ للعديد من الأسباب التي أدّت إلى سقوط بعض الحضارات وهلاكها؛ كاعتداد قوم عاد بقوتهم، وشذوذ قوم لوط – عليه السلام – الجنسي، وسوء معاملة أصحاب مدين، وتعالي فرعون وقومه، وكفران قوم سبأ نعمة الله عليهم، مع إبائهم جميعًا ورفضهم داعي الله إلى الإيمان، والتخلي عن تلك المساوئ،

وقد حلّ بهم وبأمثالهم ما قصّ الله علينا في كتابه، ودعا إلى التعرف على أحوالهم، والاعتبار بمصيرهم، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ١٢٨]، ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه بيّن في كتابه أسباب النجاة ويسرها، وبيّن أسباب الهلاك وحذّر منها.

ومما يميز البحث أنّ فيه إثراءً لهذا الموضوع بالهدايات القرآنية، وجمعًا لما هو متناثر بين جنبات كتب التفسير، ولفتًا للأنظار إلى أهمية الرجوع إلى الله تعالى في زمنٍ طغت فيه الماديات، واعتدّ فيه أناسٌ بقوتهم وعلمهم وتقدمهم المادي والتقني والحضاري، وغفلوا عن سنة الله تعالى في زوال الدول والحضارات إذا حصلت أسباب ذلك.

أهداف البحث:

١- الوقوف على الهدايات القرآنية المستنبطة من القصص القرآني في سقوط الحضارات.

٢- بيان أبرز أسباب سقوط الحضارات، وسبل تجنبها في الواقع.

حدود البحث: سيقتصر البحث على الحديث عن هلاك الأمم والحضارات وما تحتوي عليه من عبر وعظات وهدايات، وذلك من خلال ثلاثة نماذج من قصص القرآن الكريم، وهي:

- قصة قوم هود عليه السلام (نموذج للاستكبار والاعتداد بالقوة).
- قصة قوم لوط عليه السلام (نموذج للشذوذ الجنسي).
- قصة قوم سبأ (نموذج لكفران النِّعم).

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتتبع لم أجد بحثًا مستقلًّا بالعنوان الذي قدمته، ولكن توجد العديد من الدراسات حول الهدايات القرآنية، والحضارة في القرآن الكريم، والقصص القرآني عمومًا، وبعض تلك الدراسات قد تبدو مشابهة لعنوان **بحثي، وأبرزها ما يأتي:**

١. الدروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم قبل الرسالة المحمدية، إعداد: عبد الهادي سعد الشمراني، إشراف: أ.د. عبد الباسط إبراهيم بلبول، رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ٢٠٠٠م.

قسم الباحث العقوبات حسب تسلسها التاريخي في خمسة فصول، وفي نهاية كل عقوبة يذكر الدروس المستفادة منها، ولكن هذه الدراسة لم تقصد تتبع استنباط الهدايات القرآنية المتعلقة بالعبر من سقوط الحضارات في قصص القرآن الكريم، وإن ذُكر شيء منها فإنه يُذكر عرضًا دون قصد ذكر الهدايات بضوابطها التي ذُكرت في التأصيل لهذا العلم، وعلى سبيل المثال تتبعت الدروس والعبر التي ذكرها الباحث بعد ذكره عقوبة قوم عاد، فوجدته ذكر (٩) دروس عامة للاعتبار بالقصة، لم يركز فيها على الاعتبار بسقوط هذه الحضارة، أما في بحثي فإني قد ذكرت أكثر من (٣٠) هداية مركزة على الموضوع ذاته.

٢. **مقومات الحضارة وعوامل أفولها من نظر القرآن**، إعداد: عمار توفيق أحمد بدوي، إشراف: د. محسن سميح الخالدي، رسالة ماجستير في أصول الدين، بكلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٥م.

قسم الباحث بحثه إلى أربعة فصول: الأول: مقومات الحضارة في القرآن، الثاني: ضوابط الأمان في استمرار الحضارة وديمومتها، الثالث: عوامل انهيار الحضارات في المنظور القرآني، الرابع: مستقبل التمكين للحضارة الإسلامية، وتحدث الباحث في الفصل الثالث عن سبعة عوامل لانهيار الحضارة في القرآن، ولكنه لم يركز على إبراز الهدايات المتعلقة بالاتعاظ والاعتبار بسقوط الحضارات الذي هو صلب موضوع بحثي.

٣. **الموعظة في ضوء القصص القرآني (دراسة موضوعية)**، إعداد: مرفت محمد أحمد حماد، إشراف: د. محمود هاشم محمود عنبر، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٥م.

قسمت الباحثة بحثها إلى ثلاثة فصول: الأول: ميادين الموعظة في ضوء القصص القرآني، الثاني: أساليب الموعظة وآثارها في ضوء القصص القرآني، الثالث: نماذج للناجين بالموعظة والهالكين بالإعراض عنها، ولم تذكر الباحثة ضمن النماذج قصة قوم عاد، ولا قوم لوط، ولا قوم سبأ، التي كانت محور الحديث في بحثي.

٤. **هدايات القصص القرآني عند الأستاذ فضل عباس** (ت ٢٠١١م) من خلال كتابه (قصص القرآن الكريم)، بحث محكّم في مجلة المدونة، المجلد (٧)، العدد المزدوج (٢٦ – ٢٧)، ٣١ يناير ٢٠٢١م، للباحثة: زماملية حبيبة، بمشاركة د. حدة سابق.

تم تقسيم البحث إلى مبحثين: الأول: مقدمات تمهيدية، الثاني: طريقة فضل عباس في استخراج هدايات القصص القرآني، المطلب الأول منه بعنوان: استخراج الدروس والعبر، ذكر الباحثان فيه ثلاثة دروس، والقصد من ذكرها هو كيفية استخلاص الدكتور فضل عباس رحمه الله لتلك الدروس من القرآن الكريم، بإيراد نصّ كلامه من كتابه، وأما بحثي فهو أوسع مما ذُكر في هذا البحث، وأكثر تركيزًا على موضوع الهدايات، من خلال كلام المفسرين المتقدمين والمتأخرين، وما فتح الله به للباحث.

٥. **الهدايات القرآنية في قصة سبأ (دراسة موضوعية)**، بحث محكّم في المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر، المجلد (٣٥)، العدد (٢)، إبريل ٢٠٢٣م، للباحث د. خالد بن محمد الشهراني.

صنّف الباحث آيات القصة إلى عشرة عناصر موضوعية في عشرة مطالب هي صلب البحث، ولم يصرّح بموضوع الاتعاظ والاعتبار من سقوط هذه الحضارة، وإن كان أشار إليه ضمنًا، مما يجعل هذا الموضوع جديرًا بزيادة البحث والتتبع ليكون مع نظائره مبرزًا لهدايات القرآن الكريم في الاعتبار بسقوط الحضارات وزوالها.

المنهج المتبع في البحث هو (المنهج الوصفي التحليلي)، وذلك من خلال دراسة الآيات المتعلقة بموضوع البحث لاستخراج الهدايات القرآنية.

والخطة المتبعة في البحث على النحو الآتي:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، والهدف منه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد: وفيه التعريف بعناصر الموضوع.

المطلب الأول: الهدايات القرآنية المستنبطة من هلاك قوم هود عليه السلام.

المطلب الثاني: الهدايات القرآنية المستنبطة من هلاك قوم لوط عليه السلام.

المطلب الثالث: الهدايات القرآنية المستنبطة من هلاك قوم سبأ.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

واللهَ أسألُ التوفيق والإخلاص والسداد، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

الحضارة: تعني في الأصل اللغوي: الإقامة في الحَضَر، والحَضَر: خلاف البَدْو. والحاضِرةٌ، خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف(١).

وشاع استخدام الحضارة في العصر الحديث للدلالة على مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي(٢).

ويمكن تعريف الحضارة بأنها: الخطة العريضة التي يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم، ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة المعاصرة، ومنها الأطوار الحضارية الكبرى التي تصور انتقال الإنسان أو الجماعات من مرحلة إلى مرحلة(٣).

الهدايات القرآنية: هذا المصطلح مصطلح حديث، وإن وُجد تعريف لمفرده (الهداية) في عبارات المتقدمين، ولكن لم يُقصد به ما أراده المعاصرون بهذا العلم، **وقد عُرّفت الهدايات القرآنية بأنها**:

(استخراج الإرشادات من الآيات القرآنية بدلالة ظاهرة أو خفية وفق منهج علمي)(٤).

القصص القرآني: عُرّفت القصة القرآنية بأنها: (تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية، وإيراد مواقفهم وأعمالهم، وبخاصة مع رسلهم، مع إظهار آثار الدعوات فيهم، وذلك بأسلوب حسن جميل، مع التركيز على مواطن العبرة والعظة)(٥).

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٢/٦٣٢، ٦٣٣.

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، ١/٥١٣.

(٣) ينظر: الحضارة الإسلامية، د. أحمد عبد الرحيم السايح، ص٧٠.

(٤) المبادئ العشرة لعلم الهدايات القرآنية، د. فخر الدين الزبير، ص١٢.

(٥) القصة في القرآن الكريم، د. مريم السباعي، ص٣٥.

المطلب الأول: الهدايات القرآنية في قصة قوم هود عليه السلام:

قوم هود عليه السلام هم قبيلة عاد، نسبة إلى أبيهم الذي كان يسمى بهذا الاسم، وكانوا عربًا جفاة كافرين، وكانوا يسكنون الأحقاف باليمن بأرض مطلة على البحر يقال لها: الشِّحر، وكانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان؛ فبعث الله تعالى فيهم أخاهم هودًا عليه السلام، فدعاهم إلى الله تعالى، وإلى إفراده بالعبادة، والإخلاص له، فكذبوه وخالفوه وتنقصوه؛ فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر(١).

وقصة قوم هود عليه السلام من القصص التي تكررت في القرآن الكريم، فقد وردت في عشر سور، هي: الأعراف، وهود، والمؤمنون، والشعراء، وفصلت، والأحقاف، والذاريات، والقمر، والحاقة، والفجر، وسميت سورة من تلك السور باسم نبيهم هود عليه السلام، وسميت أخرى باسم موطنهم (الأحقاف)، كما أنّ قوم عاد ورد ذكرهم في سور أخرى دون تعرض لتفصيل القصة، وذلك في سور: التوبة، وإبراهيم، والحج، والفرقان، والعنكبوت، وص، وغافر، وق، والنجم، ولم ترد هذه الآيات الكثيرة لمجرد سرد القصة، بل وردت لحكم عظيمة؛ منها الاتعاظ والاعتبار.

وقد ذكر القرآن الكريم لقوم عاد أوصافًا عديدة تدلّ على ازدهار حضارتهم في ذلك الوقت، قال الله تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الأعراف: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وقال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ١٢٨ - ١٣٤]، ومدينتهم (إرم) وصفت

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١/٢٨٢، ٢٨٣.

في قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ [الفجر: ٧ - ٨]، ومع ذلك كله كفروا بالله المنعم، وعبدوا غيره، ولم يؤمنوا باليوم الآخر.

ومن الهدايات التي تُؤخذ من الآيات الكريمات التي ذكرت قصتهم:

(١) يلجأ الطغاة والمتكبرون إلى وصف الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى بالصفات والتهم الكاذبة ليقللوا من شأنهم، ويحولوا بينهم وبين اتباع الناس لهم؛ فقد اتهم قوم عاد نبيهم هودًا عليه السلام بالسفاهة والكذب، قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦]، ولكن هذا الاتهام يبطل ويضمحل وتكون العاقبة للأنبياء والصادقين، ويهلك الله تعالى المبطلين والمكذبين، كما فعل بقوم عاد وأمثالهم؛ فقد كانت نهايتهم الهلاك والدمار.

(٢) ينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن يخاطب المدعوين بأدب وحكمة وأسلوب مؤثر؛ فنبي الله تعالى هود عليه السلام لما قالوا له ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ لم يقل لهم: أنتم السفهاء، بل قال: ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٧]، وبين لهم أنه رسول من رب العالمين، مبلغ عنه الرسالة، وناصح أمين لهم.

(٣) على العبد الاعتبار بالنعم التي أنعم الله تعالى بها عليه من قوة ومال وولد وغير ذلك؛ فيكون بسببها عبدًا شاكرًا لله، لا كافرًا مستكبرًا؛ فقد ذكّر الله تعالى قوم عاد بأنه زادهم قوة في أجسامهم، وأنعم عليهم بالنعم لعلهم يفلحون، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]، ولكنهم عاندوا وكفروا فأهلكهم الله.

(٤) الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى سبب في حصول النعم ودوامها؛ ومن تلك النعم: إنزال الماء من السماء، وزيادة القوة، وأما التولي والإصرار على الكفر فإنه مؤذن بالهلاك والزوال، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ

ﱡﭐٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﱠ [هود: ٥٢].

(٥) الإعراض عن الدين، والكفر بالله تعالى، وعدم قبول نصح الناصحين؛ من أسباب الهلاك، وحلول غضب الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ [الشعراء: ١٣٦ - ١٣٩]، ومن صور الإعراض التي ذكرتها الآيات ويكررها أعداء الدين في عصرنا الحالي اتهام الدعوة إلى الإسلام بأنها تخلف، وأنها موروث قديم لا يصلح لهذا العصر.

(٦) على المؤمنين الصبر والثقة بالله تعالى، والثبات على دينهم، وإن تمادى الكافرون في كفرهم، وتأخر النصر عن المؤمنين، فالله تعالى ليس بغافل عن الظالمين، فهو تعالى يمهل ولا يهمل، ويفعل ما يشاء في الوقت الذي يريده، وقد جعل للأمم وهلاكها أجلًا وأسبابًا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ [هود: ٥٨]؛ فإذا جاء أمر الله فلا يحول دون تنفيذه شيء، ولا قوة تنفع حينئذ؛ فيأخذ الظالمين ويهلكهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

(٧) عدْل الله تعالى في إنزاله العقوبات بالظالمين؛ قال الله تعالى على لسان هود عليه السلام في خطابه لقومه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٦]، فهو تعالى لم يهلك هؤلاء القوم وغيرهم من الأقوام المكذبين إلا بعد قيام الحجة عليهم، وتماديهم في الكفر والطغيان.

(٨) على المؤمن ألا يغتر بعمله؛ فهذا هود عليه السلام وهو أحد الأنبياء

أخبر الله سبحانه أنه نجاه والمؤمنين معه برحمته، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨]، وذلك (ليُعلَم أن النجاة لا تكون باستحقاق العمل، وإنما تكون ابتداءَ فضلٍ من الله ورحمة)(١)، ومما يدخل تحت رحمة الله تعالى هداية المؤمنين للإيمان والعمل الصالح(٢).

(٩) في قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢] (تنبيهٌ على أن مناط النجاة هو الإيمانُ بالله تعالى وتصديق آياته كما أن مدار البوار هو الكفر والتكذيب)(٣).

(١٠)عظمة أمر المؤمنين عند الله تعالى، وحفظه لهم، فقد (كان مقتضى الظاهر أن يكون النظم هكذا: فقطعنا دابر الذين كذبوا ... إلخ - ونجينا هودًا ... إلخ، ولكن جرى النظم على خلاف مقتضى الظاهر للاهتمام بتعجيل الإخبار بنجاة هود ومن آمن معه)(٤)، وفي قوله تعالى ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٥٨] بيان لكون نجاتهم كانت (برحمة خاصة بهم، مخالفة للعادة في أسباب النجاة من العذاب العارض الذي يصيب بعض الناس دون بعض)(٥).

(١١)وبال الظلم والكفر والمعاصي عائد على مرتكبيها، قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ [هود: ٥٧]، فالله تعالى لا تضره معصية العاصين ولا تنفعه طاعة الطائعين، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

---

(١) لطائف الإشارات، القشيري، ١/٥٤٦.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ١٨/٣٦٦.

(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٣/٢٤٠.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨-ب/٢١٤.

(٥) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١٢/٩٩.

(١٢) تجلّي قدرة الله تعالى في إهلاك المكذبين، ومنهم قوم عاد، قال تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦]، (فكونه مالكًا للكل يقتضي أن لا يفوته أحد منهم، وكونه قاهرًا لهم يقتضي أن لا يعجزه أحد منهم)(١).

(١٣)من مظاهر قدرته تعالى إهلاك قوم عاد بالريح؛ قال تعالى في وصفها: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]؛ فقد أضاف الرب إلى الريح، وذلك للدلالة على أن الريح وتصريفها مما يشهد لعظم قدرته(٢).

(١٤)التهديد والوعيد الشديد لمن جحد وكفر بالله وعاند رسله، قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ﴾ [هود: ٥٩] (فهو إشارة إلى قبورهم وآثارهم، كأنه تعالى قال: سيروا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا)(٣).

وفي هذا لفت للأنظار إلى تلك الأمة، كيف كانوا في قوة وبطش ونعيم، وكيف صاروا ﴿صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٧]، وفي المقابل تسلية للمؤمنين الصادقين؛ فلا يخافون من الأمم الكافرة المكذبة مهما بلغت قوتها، فمن يصفون أنفسهم في عصرنا بالقوى العظمى لا يمكن أن يردوا أو يمنعوا عذاب الله إذا نزل بهم.

(١٥) بيان حقارة الدنيا وصغر شأنها، قال تعالى: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [هود: ٦٠]؛ فقد (قرن الدنيا باسم الإشارة لقصد تهوين أمرها بالنسبة إلى لعنة الآخرة)(٤)؛ فإنّ عقاب الآخرة أشد من العقاب الذي يناله المعرضون في الدنيا.

(١٦)الإيمان بالله تعالى يُعلي ذكر صاحبه، وفي المقابل البعد عن الله والكفر به

(١) التحرير والتنوير، ١٠١/١٢.

(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ٣٠٨/٤.

(٣) مفاتيح الغيب، ٣٦٦/١٨.

(٤) التحرير والتنوير، ١٠٦/١٢.

وبرسله يجعل شأن صاحبه وذكره في سفول، قال تعالى عن قوم عاد الكافرين: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ (فكل وقت وجيل إلا ولأنبائهم القبيحة وأخبارهم الشنيعة ذكر يذكرون به وذم يلحقهم)(١)، وقال تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [فصلت: ١٦] (أي: عذابًا يذلهم ويفضحهم عند الخلق جميعًا)(٢).

(١٧)في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾ [هود: ٦٠] (تنبيه للكفار أنّ عادًا كفروا ربهم، فأهلكهم الله تعالى، فاحذروا كيلا يصيبكم بكفركم ما أصابهم بكفرهم)(٣)، فقد هلك هؤلاء وصاروا ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]، (أي: كأن جثثهم بعد هلاكهم مثل جذوع النخل الخاوي الذي أصابته الريح فسقط على الأرض، فما أهون الخلق على الله إذا عصوا أمره)(٤).

(١٨)في قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠] تكرير للتنبيه بقوله: ﴿أَلَآ﴾ في الدعاء عليهم، وفي هذا (تهويل لأمرهم وتفظيع له، وبعث على الاعتبار بهم، والحذر من مثل حالهم)(٥).

(١٩)اتباع الطغاة والمستكبرين سبب للهلاك والدمار، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩]، (فهل يعتبر بهذه بقايا الملوك الجبارين في الأرض قبل انقراضهم؟)(٦).

(٢٠)ظلم الناس والفساد في الأرض من أسباب الهلاك؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠]، فقوم عاد مع سرفهم وحرصهم على

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٣٨٤.

(٢) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ٩/٧١.

(٣) بحر العلوم، السمرقندي، ٢/١٥٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص٨٢٦.

(٥) الكشاف، ٢/٤٠٥.

(٦) تفسير المنار، ١٢/١٠٠.

الدنيا فإن معاملتهم مع غيرهم معاملة الجبارين بالبطش والعُلوّ(١)(٢)، وقيل في قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨]: (أنهم كانوا يبنون المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم)(٣).

(٢١)قد يكون العمل في ظاهره نافعًا، لكنه إذا دخله الرياء والغرور مع الإعراض عن التوحيد وعن عبادة الله تعالى فإنه ينقلب عظمة دنيوية محضة لا ينظر فيها إلى جانب النفع، ويكون سببًا في هلاك صاحبه، ومأخذ هذا من قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ على قول من قال من المفسرين(٤) إنهم شيدوا مصانع للمياه، وهي الصهاريج، تجمع ماء المطر في الشتاء ليشرب منها المسافرون وينتفع بها الحاضرون في زمن قلة الأمطار(٥).

(٢٢)ينبغي للعاقل (أن يصون أوقاته النفيسة عن العبث الذي لا يكون سبب نجاته، وكيف يليق ذلك بمن الموت من ورائه؟)(٦)؛ فهؤلاء القوم كان من أسباب هلاكهم العبث، قال الله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، ٥٢٣/٢٤.

(٢) من تنزيل هذه الآية على الواقع، لبيان الاتعاظ والاعتبار بقصص القرآن، ما ذكره القرطبي رحمه الله في قوله: (والآية نزلت خبرًا عمن تقدم من الأمم، **ووعظًا من الله عز وجل لنا** في مجانبة ذلك الفعل الذي ذمهم به وأنكره عليهم. قلت: وهذه الأوصاف المذمومة قد صارت في كثير من هذه الأمة، لا سيما بالديار المصرية منذ وليتها البحرية، فيبطشون بالناس بالسوط والعصا في غير حق). الجامع لأحكام القرآن، ١٢٤/١٣.

(٣) معالم التنزيل، البغوي، ١٢٢/٦.

(٤) قال ابن عاشور رحمه الله: (اختلفت أقوال المفسرين في تعيين البناء والآيات والمصانع ... وفي بعض ما قالوه ما هو متمحض للهو والعبث والفساد، وفي بعضه ما الأصل فيه الإباحة، وفي بعضه ما هو صلاح ونفع). التحرير والتنوير، ١٦٧/١٩.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، ١٦٦/١٩.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ٦٩/١٤.

(٢٣)التفكر في آيات الله تعالى المبثوثة في هذا الكون سبب من أسباب الإيمان، وعدم النظر إلى هذه الآيات وجحدها، مع جحد الآيات المنزلة من عند الله تعالى، عاقبته العذاب والهلاك؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥]، ولفظ الآيات يعم ذلك كله في المعنى(١).

(٢٤)في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [فصلت: ١٥] (زيادة تشنيع لاستكبارهم؛ فإن الاستكبار لا يكون بحق؛ إذ لا مبرر للكبر بوجه من الوجوه؛ لأن جميع الأمور المغريات بالكبر من العلم والمال والسلطان والقوة وغير ذلك لا تبلغ الإنسان مبلغ الخلو عن النقص، وليس للضعيف الناقص حق في الكبر؛ ولذلك كان الكبر من خصائص الله تعالى) (٢).

(٢٥)يفيد قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥] أنّ (مجامع الخصال الحميدة الإحسانُ إلى الخلق والتعظيم للخالق، فقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ مضاد للإحسان إلى الخلق، وقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ مضاد للتعظيم للخالق، وإذا كان الأمر كذلك فهم قد بلغوا في الصفات المذمومة الموجبة للهلاك والإبطال إلى الغاية القصوى، فلهذا المعنى سلط الله العذاب عليهم فقال: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ [فصلت: ١٦] (٣).

(٢٦)الجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [فصلت: ١٦]، (أي: عذاب الهوان والذل، والسبب فيه أنهم استكبروا، فقابل الله ذلك الاستكبار بإيصال الخزي والهوان

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ٨/٥.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٥٦/٢٤.

(٣) مفاتيح الغيب، ٥٥٣/٢٧.

والذل إليهم)[١].

(٢٧) وصفُ الله تعالى العذاب الذي عُذّب به هؤلاء القوم بأنه غليظ، بهذا التصوير المحسوس، يتناسب مع جو هذه القصة، ومع ما عرف عن قوم هود من ضخامة في الأجسام، ومن تفاخر بالقوة[٢]، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ [هود: ٥٨]، وقد بين الله تعالى كيفية ذلك العذاب في أكثر من موضع من كتابه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٦]، أي: ريحًا شديدة الهبوب ذات برد شديد جدًّا، فكان إهلاكهم من جنسهم، فإنهم كانوا أعتى شيء وأجبره، فسلط الله عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة[٣].

(٢٨)ينبغي التأمل في أسباب هلاك هؤلاء القوم وأمثالهم، لاجتناب تلك الأسباب، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٩] (أي: في إهلاك هذه الحضارة لأمر عظيم، يُلفِت الأنظار، ويدعو للتأمل)[٤]، وقال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾

(١) المصدر السابق، ٥٥٣/٢٧.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، ٢٢٨/٧.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٥٤/٦.

(٤) تفسير الشعراوي، ١٠٦٤٢/١٧، وللشعراوي رحمه الله في هذا الموضع كلام نفيس عن الحضارات، ومنه قوله: (... كانت لهم حضارة بلغتْ القمة، ولم يكن لها مثيل، ومع هذا كله ما استطاعت أن تصون نفسها، وأخذها الله أَخْذ عزيز مقتدر ... وأنتم لم تبلغوا مبلغَ هذه الحضارة، فإذا كانت حضارتهم لم تمنعهم من أَخْذ الله العزيز المقتدر، فينبغي عليكم أن تتنبهوا إلى أنكم أضعف منهم، وأن ما حاق بالكافرين وما نزل بالمكذِّبين ليس ببعيد عن أمثالهم من الأمم الأخرى؛ لذلك تجد الحضارات التي تُتوَارث في الكون كلها آلت إلى زوال ولم نجد منها حضارة بقيت من البداية إلى النهاية، ولو بُنِيَتْ هذه الحضارات على قيم ثابتة لكان فيها المناعة ضد الزوال).

[الذاريات: ٤١]، أي: (وما فعلنا بهم آية لهم وعبرة)(١).

(٢٩)قد يجعل الله تعالى العذاب بشيء لا يتوقعه الإنسان؛ فالكون كله تحت تسخير الله تعالى، فهؤلاء القوم جعل الله هلاكهم بالريح من حيث لم يكونوا يحتسبون(٢)، فقد توهموا أنّ تلك الريح تحمل لهم الخير فقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، ومما نعتبر به في عصرنا وباء كورونا الذي انتشر في عام ٢٠٢٠م وأفزع العالم، وهو مجرد فيروس لا يرى بالعين المجردة.

(٣٠)عذاب الدنيا مهما بلغ فإنه قليل في حق عذاب الآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦]، وهذه الجملة (احتراس لئلا يحسب السامعون أن حظ أولئك من العقاب هو عذاب الإهلاك بالريح فعطف عليه الإخبار بأن عذاب الآخرة أخزى، أي: لهم ولكل من عُذِّب عذابًا في الدنيا لغضب الله عليه)(٣).

(٣١)التحذير من الانسياق وراء الأماني الكاذبة للنفس؛ فقد أنكر الله تعالى على قوم عاد قولهم ﴿مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾ [فصلت: ١٥] حيث ظنوا أنّ في استطاعتهم أن يدفعوا كل عذاب ينزل بهم، (وهذا هو الشعور الكاذب الذي

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢١/٥٣٧.

(٢) لابن عاشور رحمه الله كلام جميل حول هذه الهداية: (فإن باعث كفرهم كان اغترارهم بقوتهم، فأهلكهم الله بما لا يترقب الناس الهلاك به فإن الناس يقولون للشيء الذي لا يؤبه به: هو ريح، ليريهم أن الله شديد القوة وأنه يضع القوة في الشيء الهين مثل الريح ليكون عذابًا وخزيًا، أي: تحقيرًا كما قال: ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [فصلت: ١٦]، وأي خزي أشد من أن تتراماهم الريح في الجو كالريش، وأن تلقيهم هلكى على التراب عن بكرة أبيهم فيشاهدهم المارون بديارهم جثثًا صرعى قد تقلصت جلودهم وبليت أجسامهم كأنهم أعجاز نخل خاوية). التحرير والتنوير، ٢٤/٢٥٨.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٤/٢٦١.

يشعر به الطغاة الجاهلون في كل زمان ومكان)[1].

(٣٢) في قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥] تحذير لمن سواهم، فكما جزى الله تعالى عادًا فأهلكهم بالعذاب بسبب كفرهم بالله، كذلك يجزي القوم الكافرين، إذ تمادوا في غيهم وطَغَوا على ربهم[2].

(٣٣) مهما تفوق البشر في الجانب المادي فإنه لن يغني من عذاب الله إذا وقعت أسبابه؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦] (هذا استخلاص لموعظة المشركين بمثل عاد، ليعلموا أن الذي قدر على إهلاك عاد قادر على إهلاك من هم دونهم في القوة والعدد)[3].

(٣٤) أفضل ما يتعظ به الإنسان القرآنُ الكريم؛ فإنّ هداياته هي أنفع الهدايات وأعظمها وأقومها؛ وقد قال الله تعالى بعد ذكر قصة قوم عاد: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ٢١ - ٢٢]، وهذا (استدعاء وحض على ذكره وحفظه لتكون زواجره وعلومه وهداياته حاضرة في النفس)[4]، وكرر الله سبحانه هذه الآية مع القصص الأخرى في هذه السورة (للتنبيه والإشعار بأن كل قصة من تلك القصص جديرة بإيجاب الاتعاظ، وكافية في الاعتبار والازدجار ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ

---

(١) التفسير الوسيط، طنطاوي، ٣٣٩/١٢.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٥٩/٢١.

(٣) التحرير والتنوير، ٥١/٢٦.

(٤) المحرر الوجيز، ٢١٥/٥.

شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧])[1].

المطلب الثاني: الهدايات القرآنية في قصة قوم لوط عليه السلام:

لوط هو ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، وكان لوط قد نزح عن محلة عمه الخليل عليهما السلام بأمره له وإذنه، فنزل بمدينة سدوم – وكانت تقع على شاطئ البحر الميت بالأردن، وقيل مكان البحر الميت –،

وكانت سدوم أمّ تلك المحلة، ولها قرى مضافة إليها، ولها أهل من أفجر الناس وأكفرهم وأسوئهم، وقد ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكران من العالمين، فدعاهم لوط عليه السلام إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات، فتمادوا على ضلالهم وطغيانهم، واستمروا على فجورهم وكفرانهم، فأحل الله بهم من البأس الذي لا يُردّ ما لم يكن في خلدهم وحسبانهم، وجعلهم عبرة يتعظ بها العقلاء من العالمين[2].

ويُذكر أن بلاد قوم لوط عليه السلام كانت خصبة وفيها خير وثمار، وكان الناس يقصدونها لينالوا شيئًا من تلك الثمار وذلك الخير، فكانوا يقطعون الطريق، ويؤذون من يمر باتجاه قريتهم[3].

وقصة قوم لوط عليه السلام من القصص التي تكررت في القرآن الكريم، وقد ورد ذكر قصتهم في ثماني سور: الأعراف، وهود، والحجر، والشعراء، والنمل، والعنكبوت، والصافات، والقمر، ووردت الإشارة إليهم دون تفصيل في سور: التوبة، والأنبياء، والحج، والفرقان، وص، وق، والنجم، والحاقة.

---

(١) التفسير الوسيط، طنطاوي، ١٠٦/١٤.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ٤٠٨/١.

(٣) ينظر: معالم التنزيل، ٢٥٥/٣.

ومن الهدايات التي تُؤخذ من الآيات الكريمات التي ذكرت قصتهم:

(٣٥) رحمة الله تعالى بالعباد؛ فإنه أكرمهم بأن أرسل إليهم الأنبياء فدعوهم إلى الله وأنذروهم عقابه؛ فإذا تمردوا وعاندوا ولم يؤمنوا فإنه سبحانه يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، وقال تعالى في حق لوط عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾ [القمر: ٣٦] أي: (ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به)(١).

(٣٦) تجاوز الحدّ في فعل الشر من أسباب الهلاك، قال الله تعالى في حكاية قول لوط عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦] و(هذه الفاحشة من سيئات ترف الحضارة، وهي تكثر في المسرفين في الترف) (٢)، ووصفهم في الآية بالإسراف بطريق الجملة الاسمية الدالة على الثبات، لبيان تمكن الإسراف منهم في الشهوات؛ فلذلك اشتهوا شهوة غريبة لما سئموا الشهوات المعتادة، وهذه شنشنة الاسترسال في الشهوات حتى يصبح المرء لا يشفي شهوته شيء(٣).

(٣٧) الذي يرتكب مثل هذه الفواحش حريٌّ بأن يوصف بالسرف والعدوان كما سبق، وبالجهل، كما في قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، (وهو يشمل الجهل الذي هو ضد العلم، والجهل الذي هو بمعنى السفه والطيش، ومجموع الآيات يدل على أنهم كانوا مرزئين بفساد العقل والنفس، بجمعهم بين

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/٤٨٠.

(٢) تفسير المنار، ٨/٤٦٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ٨-ب/٢٣٢.

الإسراف والعدوان والجهل، فلا هم يعقلون ضرر هذه الفاحشة في الجناية على النسل وعلى الصحة وعلى الفضيلة والآداب العامة ولا غيرها من منكراتهم – فيجتنبوها أو يجتنبوا الإسراف فيها – ولا هم على شيء من الحياء وحسن الخلق يصرفهم عن ذلك)(١).

(٣٨) مباشرة القبيح مع اختراعه أشدّ في القبح، وقد أنكر الله تعالى على قوم لوط عليه السلام أوّلًا إتيان الفاحشة، ثم وبخهم بأنهم أول من عملها، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨] (٢).

(٣٩) الإثم الذي يتحمله السابق إلى معصية أكبر من إثم غيره؛ (وفي قوله تعالى: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تشديد في الإنكار عليهم في أنهم الذين سنوا هذه الفاحشة السيئة للناس، وكانت لا تخطر لأحد ببال، وإن كثيرًا من المفاسد تكون الناس في غفلة عن ارتكابها لعدم الاعتياد بها حتى إذا أقدم أحد على فعلها وشوهد ذلك منه تنبهت الأذهان إليها وتعلقت الشهوات بها)(٣)، وفي الحديث الصحيح عن جرير رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"(٤).

(٤٠) كما أنّ للكمال والفضائل درجات، فإنّ للنقص والرذائل دركات، وأسفل تلك الدركات أن يفاخر بها أهلها، ويحتقر من يتنزهون عنها، وهي

---

(١) تفسير المنار، ٨/٤٥٤.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ٣/٢٤٥.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٠/٢٤١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، (كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، ح: ١٠١٧، ٢/٧٠٤).

درجة قوم لوط عليه السلام، وقد وصف الله المؤمنين بأنهم إذا عملوا السيئات يعملونها بجهالة ثم يتوبون من قريب، وأنهم لا يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون [١].

(٤١) من أقبح الأمور التي تعرض لسخط الله إطلاقُ العنان للشهوة دون قيد بحدود الشرع فيما أحله الله، وإتيانُ الذَّكَر (لا يفيد إلا مجرد قضاء الشهوة؛ فكان ذلك تشبهًا بالبهائم وخروجًا عن الغريزة الإنسانية، فكان في غاية القبح)[٢]، ولما كان هذا الفعل معهودًا قبحه ومركوزًا في العقول فحشه أتى معرّفًا بالألف واللام (الفاحشة)، وعلى تقدير (ال) فيه للجنس فإنه يكون على سبيل المبالغة كأنه لشدة قبحه جعل جميع الفواحش[٣].

ويؤيد قبح هذا الفعل من السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لعن الله من عمل عمل قوم لوط)) قالها ثلاثًا [٤].

(٤٢) السخرية من أهل الحق هو دأب أهل الباطل في كل زمان، وقد قال قوم لوط عليه السلام له ولأتباعه: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢] (سخريةً بهم وبتطهرهم من الفواحش، وافتخارًا بما كانوا فيه من القذارة)[٥]، قال قتادة رحمه الله: (عابوهم بغير عيب، وذموهم بغير ذم)[٦]، وأهل المجون والانخلاع، يسمون المتعفف عن سيرتهم بالتائب أو نحو

(١) ينظر: تفسير المنار، ٤٥٨/٨.

(٢) مفاتيح الغيب، ٣١٠/١٤.

(٣) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، ٩٩/٥.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، (ح: ٢٩١٣، ٨٣/٥) وصححه الألباني. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٣٦٤/٧.

(٥) الكشاف، ١٢٦/٢.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٠٧/١٠.

ذلك قصدًا للذم والسخرية[١].

وفي واقعنا المعاصر حصل تقنين الشذوذ الجنسي على مستوى هيئات الأمم العالمية، وتعقد حفلات الزواج بين المثليين علنًا دون حياء، وقد فُتن بهم من فتن في بعض الدول المسلمة، وهذا نذير شؤم؛ فإنّ الفسق، والإسراف في الفواحش، وعمل الخبائث، والإفساد في الأرض، وإشاعة المنكر، وعدم التناهي عن فعله، كل هذا من أسباب العذاب والهلاك [٢].

(٤٣) (النفوس عند ما تنحدر في الرذيلة وتنغمس في المنكر، تعادي من يدعوها إلى الفضيلة وإلى الطهر والعفاف)[٣]، وقد عادى قوم لوط نبيهم، وتوعدوه بسبب نهيه لهم عن ذلك المنكر، قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧].

(٤٤) من المنكرات التي كان يعملها قوم لوط، وتعرضوا بسببها لسخط الله وعقابه؛ قطعُ السبيل، قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٨-ب/٢٣٥.

(٢) في تفسير المنار لمحمد رشيد رضا رحمه الله بيان لأنواع العقاب الذي يُرسل على الأمم عند ارتكاب أسبابه: (... فإن الأمم تعاقب على ذنوبها في الدنيا قبل الآخرة باطراد. وقد بينا من قبل أن عقابها إما أن يكون أثرًا طبيعيًّا للذنب كالترف والسرف في الفسق يفسد أخلاق الأمة ويذهب ببأسها، أو يجعله بينها شديدًا بتفرق كلمتها واختلاف أحزابها وتعاديهم، فيترتب على ذلك تسلط أمة أخرى عليها تستذلها بسلب استقلالها، وتسخيرها في منافعها، حتى تكون حرضًا أو تكون من الهالكين بذهاب مقوماتها ومشخصاتها، أو اندغامها في الأمة الغالبة أو انقراضها، وإما أن يكون بما يحدث بسنن الله تعالى في الأرض من الجوائح الطبيعية كالزلازل والخسف وإمطار النار والمواد المصطهرة التي تقذفها البراكين من الأرض والأوبئة - أو الانقلابات الاجتماعية كالحروب والثورات والفتن. وهنالك نوع ثالث وهو ما كان من آيات الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد انقضى زمانه بختمهم بنبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم). تفسير المنار، ٨/٤٦٠.

(٣) التفسير الوسيط، طنطاوي، ١٠/٢٧٣.

ٱلسَّبِيلَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] (أي: التصدي للمارين فيه بأخذ أموالهم أو قتل أنفسهم أو إكراههم على الفاحشة، وكان قوم لوط يقعدون بالطرق ليأخذوا من المارة من يختارونه، فقطع السبيل فساد في ذاته، وهو أفسد في هذا المقصد)[1].

(٤٥) المعين على الإثم والإجرام يستحق ما يستحقه الفاعل من العقاب؛ فهذه امرأة لوط عليه السلام بإعانتها قومها هلكت معهم بإعانتها لهم وإن لم تفعل فعلهم، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣] أي الهالكين، والتذكير في (الغابرين) للتغليب، ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة[2].

(٤٦) مَن تستولي عليه رذيلة الدَّعارة فإنها تكبحه عن التوفيق نفسًا وجسدًا، وتورده موارد الهلكة والبوار، جزاء ما جنى من اتباع الأهواء؛ وقد أرشد تعالى إلى النظر لما آل إليه قوم لوط عليه السلام، تعجيبًا من حالهم، وتحذيرًا من أعمالهم، قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤][3].

(٤٧) إذا ازداد فساد قوم وحلّ عليهم غضب الله، فلا رادّ لعذابه عنهم، فهو سبحانه القادر على كل شيء، قال تعالى عن قوم لوط: ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٦]، فلا أحد يستطيع أن يقف أمام أمر الله سبحانه، وكان دخول الملائكة مدينة قوم لوط عليه السلام على شكل شبان حسان ليتحقق عتو القوم الكافرين، وليأتيهم العذاب في قمة فجورهم.

(٤٨) المجاهرة بالسيئات والمعاصي أشدّ قبحًا، وأعظم جُرمًا، وقد وصف

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٠/٢٤٠.

(٢) ينظر: روح المعاني، الآلوسي، ٤/٤٠٩.

(٣) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٥/١٤٣.

الله تعالى قوم لوط عليه السلام بأنهم يأتون الفاحشة في نواديهم ومجالس اجتماعهم بشكل جماعي، وهم يبصر بعضهم بعضًا، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤]، وقال في آية أخرى: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] (وهذا غاية ما يكون من السُّخْط)(١).

(٤٩) القبائح تزداد قبحًا إذا كان لها بدائل من الحسنات، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥] (٢).

(٥٠) حرص الأنبياء عليهم السلام على هداية أقوامهم، ونجاتهم من العذاب، فهذا إبراهيم عليه السلام كان يرجو أن تلحق قوم لوط عليه السلام رحمة الله بتأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ويتوبون، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]، وهذا لوط عليه السلام يأمرهم بتقوى الله لعله يجد فيهم رجلًا رشيدًا، ولكنهم لم يرجعوا عن غيهم، فحق عليهم الهلاك.

وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أحرص الناس على هداية قومه، وهكذا ينبغي على الدعاة والمصلحين بذل وسعهم في هداية الناس لعلهم يتوبون.

(٥١) إذا اشتد البلاء قرُب الفرج؛ فإنه قبل إهلاك قوم لوط عليه السلام ورد الملائكة عليه وهم في أجمل صورة تكون، على هيئة شبان حسان الوجوه، ابتلاء من الله واختبارًا؛ فساءه شأنهم وضاقت نفسه بسببهم، وخشي من قومه عليهم أن ينالوهم بسوء، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧] قال ابن عباس وغيره: (شديد

(١) تفسير القرآن الكريم – سورة الشعراء، ابن عثيمين، ص٢٦١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن الكريم – سورة النمل، ابن عثيمين، ص٣١٩.

بلاؤه)[1]، فعند ذلك جاءه نصر الله على سنته تعالى مع رسله، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠][2].

(٥٢) الرشد يبعث على فعل الخير ويكون سببًا لنجاة صاحبه، والسفاهة والطيش والجهل تبعث على فعل الشر والاستمرار عليه، وتكون سببًا لهلاك صاحبها، وقد قال لوط عليه السلام لما راوده قومه عن أضيافه: ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [هود: ٧٨] (أي: أليس منكم رجل فيه خير يقبل ما آمره به، ويترك ما أنهاه عنه)[3]، (وهذا دليل على مروجهم وانحلالهم، من الخير والمروءة)[4].

(٥٣) (ظهور الرشيد في الفئة الضالة يفتح باب الرشاد لهم، وبالعكس تمالؤهم على الباطل يزيدهم ضراوة به)[5]، ويكون سببًا لهلاكهم.

(٥٤) على المؤمن أن يقطع تعلقه عن الأرض التي انتشرت فيها الخبائث، وعمّ فيها الفساد، ولو كانت وطنه، قال تعالى: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ [هود: ٨١]، و(سبب النهي عن الالتفات التقصي في تحقيق معنى الهجرة غضبًا لحرمات الله بحيث يقطع التعلق بالوطن ولو تعلق الرؤية)[6]، (والإنسان المبغض لعمل قوم لا يحب أن يبقى معهم)[7].

(٥٥) ظهور عظيم قدرة الله تعالى في إهلاك قوم لوط عليه السلام، ويتجلى ذلك فيما حصل لأرضهم من جعل عاليها سافلها، وإمطارهم بحجارة خاصة يدرك كل واحد منهم عذابها، ولا تصيب غيره، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/٣٣٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ١٢/١٣١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/٣٣٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص٣٨٦.

(٥) التحرير والتنوير، ١٢/١٢٩.

(٦) المصدر السابق، ١٢/١٣٢.

(٧) تفسير القرآن الكريم – سورة الشعراء، ابن عثيمين، ص٢٦٣.

أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨٢ - ٨٣]، وقبل أن يعمهم العذاب المهلك قال تعالى مبينًا ما فعله بهم: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٧]، انقلبوا عمياناً يتخبطون في لحظة واحدة.

(٥٦) يوجد في الناس من تُقلب طبيعته وتصرف حتى يستحسن الخبيث مثل قوم لوط عليه السلام(١)، فإنهم لم يقتصروا على المنكر الذي ارتكبوه، بل فعلوه في علانية فاضحة، وهذه حالة من الارتكاس حدثت في ذلك الزمن، ولكنّ المجرمين اليوم يريدون أن يعيدوا الكرة بإقامتهم الاحتفالات لزواج المثليين، وسنّ القوانين لذلك، وهذا أمر مستحدث لم يكن معروفًا من قبل، فقد كان هناك اللواط بين الرجلين والسّحاق بين المرأتين، ولكن لم يصل الأمر إلى تشريعه في قوانين الدول والأمم إلّا في هذه العصور المتأخرة، والله المستعان(٢).

(٥٧) لا غنى لأحد عن دعاء الله تعالى لاسيما عند وقوع الشدة والكرب؛ فهذا لوط عليه السلام يدعو ربه: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩] فاستجاب له ربه؛ فهو العليم القدير الرحيم(٣).

(٥٨) القرب من الصالحين لا يغني الإنسان شيئًا؛ لأن امرأة لوط هلكت

---

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم – سورة الشعراء، ابن عثيمين، ص٢٦٦.

(٢) تم تقنين هذا في العديد من الدول التي تسمي أنفسها بالمتحضرة، وقد دعت الجلسة الخاصة للجمعية العمومية للأمم المتحدة بعنوان (المرأة ٢٠٠٠م مساواة الجندر التنمية والسلام) إلى الاعتراف بالمثلية الجنسية كحق من حقوق الإنسان، وإلغاء القوانين التي تجرم الشذوذ الجنسي، وتُعد هولندا أول بلد اعترف بزواج المثليين قانونيًّا منذ عام ٢٠٠١م، وتبعها عدة بلدان في أوروبا وأمريكا. منقول عن مقال بعنوان: (الزواج المثلي في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية) وأصله كتاب مطبوع لم أعثر عليه. رابط المقال: https://bahethat.com/article/r38069/

(٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم – سورة الشعراء، ابن عثيمين، ص٢٦٧.

مع من هلك وهي زوجة نبي، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣][1].

(٥٩) عقوبة الله سبحانه وتعالى تتنوع حسب العمل؛ فقوم لوط عليه السلام انقلبت فطرهم وانتكست، فكان عقابهم بالمطر حتى هدمت منازلهم، وصار عاليها سافلها، ثم خسف بها فيما بعد[2].

(٦٠) قوله عز وجل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤] خطابٌ (لكل أحد أمر بالنظر فيما حل بالأمم السالفة؛ بتكذيبهم الرسل، وعنادهم؛ ليكونوا على حذر من صنيعهم، لئلا يحل بهم ما حل بأولئك) [3]، وفي هذا (إيقاظ وازدجار أن تسلك هذه الأمة هذا المسلك) [4].

(٦١) الإنسان العاقل هو الذي يعتبر بما حصل لغيره، وقد أبقى الله تعالى آثارًا تدل على القوم المهلكين، وفي قصة قوم لوط عليه السلام قال تعالى: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣]، وهذا على تفسير (أن ضمير ﴿هِىَ﴾ عائد على القرى التي جعل الله أعاليها أسافلها، والمعنى: أن ذوات هذه المدن كانت بين المدينة والشام، يمر عليها قريش في مسيرهم، فالنظر إليها وفيها فيه اعتبار واتعاظ)[5]، وعلى التفسير الآخر: (وما هذه النقمة ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيد عنه)[6][7].

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ص٢٦٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص٢٦٩، وتتمة كلام المؤلف رحمه الله: (ولذلك الآن هي بحيرة اسمها "بحيرة لوط" معروفة، وهي البحر الميت؛ وسميت البحر الميت لأنه غير متصل بالبحار

(٣) تأويلات أهل السنة، ٤/٤٩١.

(٤) البحر المحيط، ٥/١٠٣.

(٥) البحر المحيط، ٦/١٩٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/٣٤٢.

(٧) قال ابن كثير رحمه الله تعقيبًا على هذه الآية: (وجعل الله مكان تلك البلاد بحرة منتنة لا ينتفع بمائها، ولا بما حولها من الأراضي المتاخمة لفنائها لرداءتها ودناءتها، فصارت عبرة ومُثلة، وعظة وآية على قدرة الله تعالى وعظمته وعزته في انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله، واتبع هواه وعصى مولاه، ودليلًا على رحمته بعباده المؤمنين في إنجائه إياهم من المهلكات، وإخراجه إياهم من النور إلى الظلمات). البداية والنهاية، ١/٤٢٣.

وقد جاءت التعقيبات على هذه القصة في سور عديدة تدعو إلى الاعتبار بما حل بهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، (أي: إن فيما فعلناه بقوم لوط من الهلاك والعذاب لدلالات للمفكرين الذين يعتبرون بما يحدث في الكون من عظات وعبر)(١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥]، أي: (ولقد أبقينا من فعلتنا التي فعلنا بهم ﴿ءَايَةَۢ﴾، يقول: عبرة بينة وعظة واعظة)(٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧] (والخبر الذي في قوله: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ﴾ عليهم مستعمل في الإيقاظ والاعتبار) (٣) والاستفهام في قوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (للتوبيخ والحض على الاعتبار بأحوال الماضين)(٤)، وقال تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [الذاريات: ٣٧] (أي: علامة للخائفين تدلهم على أن الله تعالى أهلكهم فيخافون مثل عذابهم)(٥)، وتكرر في سورة القمر قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٧، ٣٩] في موضعين من القصة، والغرض من ذلك (أن يتجدد عند استماع كل نبأ من ذلك ادكار لهم واتعاظ وإيقاظ استيفاء لحق التذكير القرآني)(٦).

(٦٢) أهمية التربية الإسلامية للبيت المسلم على طاعة الله تعالى وشكره، فإنها سبيل النجاة من غضب الله وعذابه في الدنيا والآخرة، فما نجا لوط عليه السلام وأهله إلا بها، وقد أثنى الله عليهم فقال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٤ - ٣٥].

---

(١) تفسير المراغي، ١٤/٣٨.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٨/٣٩٧.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٣/١٧٢.

(٤) التفسير الوسيط، طنطاوي، ١٢/١١٠.

(٥) معالم التنزيل، ٧/٣٧٧.

(٦) التحرير والتنوير، ٢٧/٢٠٧.

المطلب الثالث: الهدايات القرآنية في قصة قوم سبأ:

(سبأ) هي أرض باليمن مدينتها مأرب، وسميت بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان(١).

وكان من جملة ملوك سبأ بلقيس، التي ذكر الله تعالى قصتها مع سليمان عليه السلام، وقد كانوا في غبطة عظيمة وأرزاق دارّة وثمار وزروع كثيرة، وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد وطريق الرشاد، فلما بدلوا نعمة الله كفرًا أحلوا قومهم دار البوار (٢).

قال الله تعالى في ذكر قصتهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥] إلى آخر الآيات التي استوعبت تاريخ أمة في سطور، وصورت أطوارًا اجتماعية كاملة في جمل قليلة أبدع تصوير، ووصفت بعض خصائص الحضارة والبداوة في جمل جامعة، والآيات صريحة في أن مدنية سبأ كانت مدنية زاهرة مستكملة الأدوات، وكانت عامرة بالبساتين عن يمين السائر في تلك المدن أو الأراضي وشماله، ومعنى هذا: أن طرق السير كانت منظمة تبعًا لتنظيم الغروس عن يمينها وشمالها، والاكتشافات الأثرية اليوم تشهد بأن أمم الحضارات اليمنية كانت من أسبق الأمم إلى بناءِ السدود المنيعة، لحصر المياه والانتفاع بها في تعمير الأرض، وما يكون السبئيون بلغوا في الهندسة مبلغًا أقاموا به سد مأرب؛ حتى يبلغوا في غيره من علوم العمران ذلك المبلغ، ولكن لما كفروا بأنعم الله واستعملوها في ما يسخطه، سلط الله عليهم من الأسباب ما خرب عمرانهم، وأباد حضارتهم(٣).

---

(١) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ١٨١/٣.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ١٠٩/٣.

(٣) ينظر: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص٣٩٨، ٣٩٩.

ومن الهدايات التي تُؤخذ من الآيات الكريمات التي ذكرت قصتهم:

(٦٣)في ذكر هذه القصة مناسبة لما قبلها من الآيات؛ فإنه (لما ذكر الله تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما السلام، بيّن حال الكافرين بأنعمه بقصة سبأ؛ موعظة لقريش، وتحذيرًا وتنبيهًا على ما جرى لمن كفر أنعم الله)[١].

(٦٤)ينبغي استثمار قصص السابقين - لا سيما قصص القرآن - في التعليم والدعوة؛ فإن الأسلوب القصصي محبب إلى النفس، وفيه عبر وعظات يستفيد منها الناس، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ [سبأ: ١٥].

(٦٥)أهمية دراسة التاريخ؛ فهذه القصة فيها تمثيل أمة بأمة، وبلاد بأخرى، وفي ذلك عظة وعبرة، وهي فائدة تدوين التاريخ وتقلبات الأمم؛ فسوق هذه القصة تعريض بأشباه سبأ [٢]، ومما يدل على أهمية دراسة التاريخ من أجل الاتعاظ والاعتبار قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر: ٢١].

(٦٦)رحمة الله تعالى بعباده، فإنه أمر أهل سبأ بالشكر، قبل أن ينزل عقابه بهم.

(٦٧)وجوب شكر لله سبحانه وتعالى على نعمه العظيمة التي أنعم بها على عباده؛ قال تعالى بعد أن عدّد نعمه على قوم سبأ: ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [سبأ: ١٥].

(٦٨)الابتلاء يكون بالشر، ويكون بالخير كذلك، قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وكثرة النعم ابتلاء من الله تعالى؛ فقد ابتلى الله تعالى قوم سبأ بما أنعم عليهم من خير في أرضهم.

---

(١) البحر المحيط، ٥٣٣/٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ١٦٥/٢٢.

(٦٩)كل مدنية لم تحصن بسياج الإيمان، والشكر، والفضيلة، والعدل، فمصيرها إلى الخراب؛ فهؤلاء القوم لم يحصنوا مدينتهم الزاخرة بذلك السياج فآلت إلى الخراب، قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦](١).

(٧٠)بيان سنة الله تعالى في مصير الأمم؛ فبعض الناس من قديم مفتونون بعظمة المظاهر، يحسبون أنها خالدة بعظمتها باقية بذاتها، والقرآن الكريم ذكر لنا الكثير من القصص في مصير الأمم، حتى لا نغتر بمظاهرها، وحتى نعلم أن سنة الله لا تتخلف في الآخرين، كما لم تتخلف في الأولين(٢).

(٧١)قدرة الله تعالى في فعله بقوم سبأ؛ حيث جعل لهم هذه البساتين العظيمة، ثم أبدلها بأخرى لا تساويها بشيء، ومن قدرته تعالى إرسال تلك السيول الجارفة التي أغرقت ثمارهم وزروعهم(٣).

(٧٢)حكمة الله تعالى في فعله بقوم سبأ؛ حيث أعطاهم ذلك الخير حين كانوا مقبلين عليه، وسلبهم إياه حين أعرضوا واستكبروا عن طاعته، ومن حكمته تعالى أن جعل بدل الجنتين جنتين أخريين؛ لأن الطاعة نور وصلاح وفلاح فيناسبها الجزاء بالعطاء، والمعصية ظلمة وفساد فيناسبها أن يكون فيها هذا البدل السيئ بالنسبة لما قبله(٤).

(٧٣)عدم إيفاء النعمة حقها من الشكر يعرض بها للزوال وانقلاب الأحوال، كما حصل لقوم سبأ، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ

---

(١) ينظر: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص٣٩٩.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص٣٩٩.

(٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم – سورة سبأ، ابن عثيمين، ص١٣١، ١٣٧.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص١٣١، ١٣٧.

ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] [١].

(٧٤)في إرسال الله تعالى سيل العرم على قوم سبأ آية على انفراده تعالى بالتصرف، وعلى أنه المنتقم وعلى أنه واحد؛ فلذلك عاقبهم على الشرك[٢].

(٧٥)في انعكاس حال هؤلاء من الرفاهة إلى الشظف آية على تقلب الأحوال وتغير العالم، وآية على عدم الاطمئنان لدوام حال في الخير والشر[٣].

(٧٦)الإعراض سبب للهلاك وتبديل الحال، وهذه سنة الله تعالى في خلقه، قال الله تعالى هنا: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

(٧٧)(عقوبة المعرضين بما تقضية حكمة الله سبحانه وتعالى، وقد قال الله سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، **فالعقوبات دائماً تكون** من جنس العمل، فهؤلاء لما بطروا نعمة الله تعالى وكفروا به بسبب هذه الجنات أُبدلوا بجنات سيئة بالنسبة لما نعموا به من قبل)[٤].

(٧٨)المعاصي سبب لزوال النعم؛ وهذا مأخوذ من قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦]؛ فقد كانوا منعمين، فأعرضوا فأرسل الله عليهم هذا السيل المدمر، ومن شواهده في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦][٥].

(٧٩)المطر نعمة ورحمة ولكنه قد يكون نقمة وعذابًا؛ فإن السيل هو اجتماع

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٢/١٨١.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٢٢/١٨٠.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ٢٢/١٨٠.

(٤) تفسير القرآن الكريم – سورة سبأ، ابن عثيمين، ص١٣٥.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ص١٣٦.

المطر حتى يتدفق، والأصل أنه خير كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧]، ولكنه أحيانًا يكون عذابًا كما حصل في سيل العرم الذي أرسله الله تعالى على قوم سبأ(١).

(٨٠)بيان ضلال الذين إذا أصابتهم مثل هذه المصائب من الفيضانات وما أشبهها، فلا يتأثرون لذلك، ويقولون: هذا مقتضى الطبيعة؛ فإن هذه الفيضانات التي تدمر قد تكون عقوبة من الله؛ ليبتلي بها أولئك المعذبين، ويرتدع بها من كان على شاكلتهم (٢).

(٨١)الله تعالى لا يجازي أحدًا بعقوبة إلا بفعله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ﴾ [سبأ: ١٧] (٣)؛ فهو سبحانه وتعالى لا يظلم الناس شيئًا؛ فما أصاب قوم سبأ كان بسبب إعراضهم وكفرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

(٨٢)الكافر يُكافأ على عمله، ولا يغفر له الله تعالى من ذنوبه شيئًا، ولا يُمَحَّص شيء منها في الدنيا، ويجعل بالواحدة من سيئاته مثلها، مكافأة له على جرمه، وأما المؤمن فإن الله تعالى يتفضل عليه بجعل الواحدة من أعماله الصالحة عشر أمثالها إلى ما لا نهاية له من التضعيف؛ فالمكافأة لأهل الكبائر والكفر، والجزاء لأهل الإيمان مع التفضل؛ فلذلك قال جل ثناؤه في هذا الموضع: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾(٤). في الآيات دلالة لما ذُكر في الأثر: (جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة. قيل:

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ص١٣٦.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ص١٣٦.

(٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم – سورة سبأ، ابن عثيمين، ص١٣٩.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٩/٢٥٩.

وما التعسر في اللذة؟ قال: لا ينال لذة حلالًا إلا جاءه ما ينغصه إياها) [١].

(٨٣)الأمن في الأوطان نعمة عظيمة؛ فإنه بسببها تطيب الإقامة، وتتيسر الأسفار، وتُعمر البلاد، قال تعالى: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

(٨٤)الذي يبطر نعم الله سبحانه يستحق حرمانها؛ قال تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ١٩]، بطر قوم سبأ نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم[٢]، فعجل لهم ربهم الإجابة[٣]، وحلت بهم أسباب سلبها عنهم، ورحم الله القائل: من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها[٤].

(٨٥)في تمني قوم سبأ زوال تقارب أسفارهم آية على ما قد تبلغه العقول من الانحطاط المفضي إلى اختلال أمور الأمة وذهاب عظمتها[٥].

(٨٦)يجب الحذر من فعل الأسباب التي تسخط الله تعالى؛ فيعاقب صاحبها، ويصير عبرة للآخرين، قال تعالى: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ [سبأ: ١٩]، (أي: عظات وعبرًا يُتحدث بهم ويتمثل)[٦]، (وهذا نوع من الخزي والعار —

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب (التوبة) بسنده عن علي رضي الله عنه، ص١١٦، ونقل ابن كثير هذا الأثر عن أحد أصحاب علي رضي الله عنه، وعزاه لابن أبي حاتم، ولم أجده في تفسيره. ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/٥٠٨.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: (وذلك أنهم بطروا هذه النعمة - كما قاله ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وغير واحد - وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض، من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، مع أنهم كانوا في عيش رغيد في منٍّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة). تفسير القرآن العظيم، ٦/٥٠٩.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٩/٢٦٦.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٢/١٦٥.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٢٢/١٨٠.

(٦) البحر المحيط، ٨/٥٣٩.

والعياذ بالله تعالى – أن يشتهر أمر الناس، أو أمر الإنسان حتى يكون أحدوثة لمن بعده)[1]، وهكذا حال الأقوام التي كذبت الرسل وأعرضت عن منهج الله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

(٨٧)العقاب الذي ينزله الله تعالى بالعصاة والظالمين فيه عبرة وعظة لغيرهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩]، ففي هذه الآية (التنبيه بأن هذه القصص فيها آيات وعبر لكل مؤمن على الكمال)[2].

(٨٨)في قصة قوم سبأ (عظة وعبرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه إذا أنعم عليه، وحقه من الصبر على محنته إذا امتحنه ببلاء)[3]، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩]، وهؤلاء المتحدث عنهم لم يشكروا النعمة فبطروها، ولم يصبروا على ما أصابهم من زوالها فاضطربت نفوسهم وعمهم الجزع؛ فخرجوا من ديارهم وتفرقوا في الأرض، ولقوا ما لقوا من المتالف والمذلات[4].

(٨٩)الصبّار يعتبر من أحوال قوم سبأ؛ فيعلم أن الصبر على المكاره خير من الجزع، ويرتكب أخف الضررين، ولا يستخفه الجزع فيلقي بنفسه إلى الأخطار ولا ينظر في العواقب[5].

(٩٠) الشكور يعتبر بما أعطي من النعم؛ فيزداد شكرًا لله تعالى، ولا يبطر النعمة ولا يطغى؛ فيعاقب بسلبها كما سلبت عن هؤلاء القوم[6].

---

(١) تفسير القرآن الكريم – سورة سبأ، ابن عثيمين، ص١٤٧.

(٢) المحرر الوجيز، ٤/٤١٦.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٩/٢٦٨.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٢/١٨٠.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٢٢/١٨٠.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ٢٢/١٨١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والشكر له سبحانه على إعانته وتوفيقه لي بإتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه الإخلاص والقبول، وبعد:

ففي نهاية هذا البحث ظهرت لي بعض النتائج، من أهمها:

١- الدعوة إلى الاعتبار والاتعاظ والتذكر من أبرز مقاصد القرآن الكريم، وهذا متعلق بالجانب المهمّ في الإنسان، وهو الجانب القلبي الوجداني، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وهذا المقصد أبرز ما يكون في قصص القرآن الكريم، وفي ثنايا البحث الكثير من الآيات الدالة على ذلك.

٢- قصص القرآن الكريم فيها دروس وعبر من نواحٍ عديدة، منها: تثبيت الطائعين على طاعتهم، وزجر العاصين عن عصيانهم، وتعليم الدعاة والمرشدين كيفية مخاطبتهم للمدعوين.

٣- قصص القرآن الكريم مجال خصب لاستنباط الهدايات الكثيرة التي تلامس واقع الناس، وقد ذُكر في البحث (٩١) هداية تدور حول الاعتبار بسقوط الحضارات، والباب مفتوح للمتأملين والمتدبرين للوقوف على هدايات أخرى، فهدايات القرآن لا تنحصر.

٤- ينبغي الاعتناء بربط الواقع بالقرآن الكريم من أجل السعي إلى إصلاح ما فيه من خلل، وواقعُ الأمة اليوم يحتاج إلى إعادة نظر من نواحٍ عديدة؛ ومنها ما ذُكر في نماذج البحث (الاستكبار، والشذوذ الجنسي، وبطر النعم)، وقد

وُجد في واقعنا من تصدُق عليه هذه الأوصاف أو يتبناها ويسوّق لها، والحلُّ الناجع هو ترسيخ هدى القرآن الكريم في النفوس.

ويوصي الباحث: بالاعتناء بموضوع الهدايات القرآنية من جهة موضوعية، ومن أبرز الموضوعات في ذلك: **(هدايات القصص القرآني)** بأن يفرد هذا الموضوع بدراسة علمية خاصة، على غرار دراسة (هدايات الأمثال القرآنية) الذي أعده أ. د. فخر الدين الزبير.

والحمد لله رب العالمين، بدءًا وختمًا، وهو المستعان، وعليه التّكلان.

فهرس المصادر والمراجع

١. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢. **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت.

٣. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤. **البداية والنهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٥. **تأويلات أهل السنة**، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٦. **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية – تونس، ١٩٨٤م.

٧. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٨. **تفسير القرآن الكريم – سورة الشعراء**، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية – السعودية، ط١، ١٤٣٦هـ.

٩. **تفسير القرآن الكريم – سورة النمل**، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية – السعودية، ط١، ١٤٣٦هـ.

١٠. **تفسير القرآن الكريم – سورة سبأ**، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية – السعودية، ط١، ١٤٣٦هـ.

١١. **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، ط١، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م.

١٢. **تفسير المنار**، محمد رشيد بن علي رضا،دار المنار القاهرة، ط٢، ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م

١٣. **التفسير الوسيط**، د. محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر – القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

١٤. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

١٥. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر – القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٦. **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب – الرياض، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

١٧. **الحضارة الإسلامية**، د. أحمد عبد الرحيم السايح، بحث منشور في مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة، العدد الثالث، ذو الحجة ١٣٩٧هـ – نوفمبر ١٩٧٧م.

١٨. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٩. **الزواج المثلي في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية**، إبراهيم جكيتي، مقال على موقع باحثات، رابط المقال: https://bahethat.com/article/r38069/

٢٠. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٢١. **صحيح مسلم**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة، (صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.

٢٢. **القصة في القرآن الكريم**، د. مريم السباعي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٠٤هـ.

٢٣. **كتاب التوبة**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن – مصر.

٢٤. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م

٢٥. **لطائف الإشارات**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣.

٢٦. **المبادئ العشرة لعلم الهدايات القرآنية**، د. فخر الدين بن الزبير المحسي، منشور ضمن مطبوعات كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى.

٢٧. **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٢٨. **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٩. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٣٠. **المسند**، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٣١. **معالم التنزيل**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرين، دار طيبة – الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٣٢. **معجم البلدان**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر – بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٣٣. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٣٤. **مفاتيح الغيب**، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٣٥. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.